الفصل الأول

مدخل

تمهيد:

لقد أبتلى العالم الإسلامي بفتن كثيرة تعددت أسماؤها فأطلقوا عليها(أصولية، تطرف إرهاب، رجعية وغيرها) إلا أنها كلها تعبر عن مفهوم واحد فقط هو: الغلو والتفسير الناقص للنصوص، وإطلاق هذه التسميات على المؤمنين دون بصيرة وروية فاستسهل أقوام قذف المسلمين بالبدعة، والكفر، والشرك، والجهل في أمور خلافية ليست محلا لأي من هذه الأوصاف بل ليست محلا للتخطئة والتجهيل، فكيف بالتبديع والتكفير! إذ أن الكثير من هذه الأمور الخلافية سبقهم إليها أئمة من ذوي الرواية والروية ولا ينبغي أن يعيب مقلد على مقلد، ولا مجتهد على مجتهد، وذلك لأن سر خلود الإسلام هو الاختلاف المحمود الذي سيرد تفصيله. كما أن الداء الأكبر الذي استشرى في زماننا وأدى إلى ظهور كل هذه التناقضات هو غياب فريضة الحوار التي أرى أنها أولى الأولويات وأهم المهمات.

خاصة وأننا في عصر تفاقم فيه الاختلاف تفاقما كبيرا حتى إن المتحدث في أي مسألة من مسائل العلم لا يعدم مخالفا له، إما ناقدا، أو ناقما، أو واضعا اسم المتحدث في ملف صنف فيه الناس أصنافا ووصمهم بوصمة تجريح وتشريح.([1])

فقواعد الخلاف والحوار والاختلاف وضوابطه هي ألعاصم للمتحاورين من الغلو وشتم الآخرين إن كان الحق هو الرائد المطلوب.أما إن كان الخلاف انتصارا لأهواء شخصية وتعصبا اعمي لرأي فهذا أمر لا ينفع معه قواعد ولا ضوابط إذ أن الهوى ليس له ضوابط ولا موازين، ولذلك حذرنا المولى من إتباع الهوى فقال: {فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءهُمْ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ}([2]).

---

[1]) **أدب الاختلاف في مسائل العلم والدين محمد عوانة(ص5)**

[2]) **القصص:45.**

المبحث الأول: **تأصيل الألفة والاعتصام بحبل الجماعة وفيه تمهيد ومطلبان**:

تمهيد:

إن من أهم الواجبات أن يدرك الجميع أن أخوة الإسلام ووحدة صفوف المسلمين المخلصين والحفاظ عليها ونبذ كل ما يسيء إليها أو يُضعف من عراها هو من أهم الفرائض وأخطرها .. وعبادة من أهم العبادات، وقربة من أفضل القربات.. لأننا بتلك الأخوة نقوى على التصدي لكل العقليات التي تعيق استئناف الحياة الإسلامية على الوجه الذي يرضي الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم.. وجدير بالذكر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم حذرنا من الفرقة حيث أهدر دم مفرّق الجماعة.. لذلك كله فإن التفريط بالأخوة الإسلامية، أو المساس بها لمجرد الاختلاف في الرأي أمر لا يجوز لمسلم أن يفعله ولاسيما في هذه الظروف التي تداعت فيها علينا الأمم.

وإن الأخوة في الله تعالى ووحدة القلوب بين المسلمين تحتل المراتب الأولى للواجبات.

بل إنه من المعلوم ضرورة من الدين قال تعالى:{وَاعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ اللّهِ جَمِيعاً وَلاَ تَفَرَّقُواْ وَاذْكُرُواْ نِعْمَتَ اللّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاء فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَاناً وَكُنتُمْ عَلَىَ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ النَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ}([1])

وقال تعالى:{وَأَطِيعُواْ اللّهَ وَرَسُولَهُ وَلاَ تَنَازَعُواْ فَتَفْشَلُواْ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُواْ إِنَّ اللّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ}([2])، قوتكم وجماعتكم ونصركم.

وقال تعالى:{وَلاَ تَكُونُواْ كَالَّذِينَ تَفَرَّقُواْ وَاخْتَلَفُواْ مِن بَعْدِ مَا جَاءهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُوْلَـئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ}([3]).

---

[1]) آل عمران:103.

[2]) الأنفال:46.

[3]) آل عمران:105.

وقال تعالى:{شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحاً وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ}([1]).

أوامر بالاعتصام بحبل الله تعالى وإقامة دينه مقرونة بنواهٍ عن التفرق والنزاع مع التنبيه إلى النتائج الحتمية المتمثلة في الفشل الذي يعنى العجز عن الوصول إلى غاية معينة وهنا فشل الأمة وعجزها عن القيام بوظيفتها في هداية البشر والخلافة الراشدة في الأرض.

وقد بين عليه الصلاة والسلام ذلك خير بيان، وهو المبين للذكر المبلغ للوحي في نواه صريحة " لا تقاطعوا وتدابروا ولا تباغضوا وكونوا عباد الله إخواناً"([2]).

<u>المطلب الأول:إصلاح ذات البين</u>:

قال تعالى{يَسْأَلُونَكَ عَنِ الأَنفَالِ قُلِ الأَنفَالُ لِلّهِ وَالرَّسُولِ فَاتَّقُواْ اللّهَ وَأَصْلِحُواْ ذَاتَ بِيْنِكُمْ وَأَطِيعُواْ اللّهَ وَرَسُولَهُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ}([3])

وقال تعالى:{لاَّ خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلاَّ مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلاَحٍ بَيْنَ النَّاسِ.....}([4])

وقال تعالى:{وَإِن طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِن بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ فَإِن فَاءتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ}([5])

وقال تعالى:{.. وَاذْكُرُواْ نِعْمَتَ اللّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاء فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَاناً}([6])

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ولا تحاسدوا ولا تباغضوا ولا تقاطعوا وكونوا عباد الله إخواناً كما أمركم الله تعالى".([1])

---

[1]) الشورى:13.

[2]) متفق عليه.

[3]) الأنفال:1.

[4]) النساء:114.

[5]) الحجرات:9.

[6])آل عمران:103.

وفي حديث أبي هريرة " لا تحاسدوا ولا تناجشوا ولا تباغضوا ولا تدابروا".([2]).

وخرج أحمد وأبو داود والترمذي من حديث أبي الدرداء رضي الله عنه:"ألا أنبئكم بأفضل من درجة الصلاة والصيام والصدقة؟ قالوا: بلى يا رسول الله قال: إصلاح ذات البين فإن فساد ذات البين هي الحالقة "والذي نفسي بيده لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا ولا تؤمنوا حتى تحابوا".([3]).

وفي ثاني خطبة له بالمدينة بعد الهجرة كما يروى ابن إسحاق دعا إلى حب الله تعالى قائلاً: أحبوا ما أحب الله أحبوا الله من كل قلوبكم". ثم دعا المسلمين إلى الحب فيما بينهم قائلاً: وتحابوا بروح الله بينكم"

استخلص العلماء رحمهم الله تعالى من ذلك أن الجماعة والألفة أصل من أصول الدين يضحى في سبيله بالفروع.

فالاعتصام بالجماعة والألفة أصل من أصول الدين والفرع المتنازع من الفروع الخفية فكيف يقدح في الأصل بحفظ الفرع".

وهو كلام صحيح فيه فقه وبصر بأحكام الشرع ولقد اعتذر نبي الله هارون لأخيه موسى عليهما السلام- في عدم إتباعه له عندما عبد بنو إسرائيل العجل بالمحافظة على وحدة بني إسرائيل فلو تفرقوا لحملتني مسئولية ذلك:{قَالَ يَا هَارُونُ مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوا{92}أَلَّا تَتَّبِعَنِ أَفَعَصَيْتَ أَمْرِي{93}قَالَ يَا ابْنَ أُمَّ لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي وَلَا بِرَأْسِي إِنِّي خَشِيتُ أَن تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِي}([4]).

المطلب الثاني:أهمية الاجتماع وحث الإسلام عليه:

لنبدأ هذه النقطة بكلمة غاية في الأهمية للشافعي- رحمه الله- حيث قال: إذا كان للمسجد إمام راتب ففاتت رجلا أو رجالا فيه الصلاة: صلوا فرادى، ولا أحبّ أن يصلّوا فيه جماعة، فإن فعلوا أجزأتهم الجماعة فيه. وإنما كرهت ذلك لهم لأنّه ليس ممّا فعل السّلف قبلنا، بل قد عابه بعضهم.

---

[1]) أخرجه مسلم من حديث أنس.

[2])صحيح الجامع(برقم7242)

[3]) الترمذي(283) وأحمد(165/1) وأبو داود(4919)

[4]) طه:92,94.

ثم قال: وأحسب كراهية من كره ذلك منهم إنّما كان لتفرق الكلمة، وأن يرغب الرّجل عن الصّلاة خلف إمام جماعة فيتخلّف هو ومن أراد عن المسجد في وقت الصّلاة، فإذا قضيت دخلوا فجمعوا، فيكون في هذا اختلاف وتفرّق كلمة «[1]»
قال الشيخ أحمد شاكر- رحمه الله- معلقا على كلام الشافعي: والذي ذهب إليه الشافعي من المعنى في هذا الباب صحيح جليل، ينبئ عن نظر ثاقب، وفهم دقيق، وعقل درّاك لروح الإسلام ومقاصده، وأوّل مقصد للإسلام، ثمّ أجلّه وأخطره: توحيد كلمة المسلمين، وجمع قلوبهم على غاية واحدة، هي إعلاء كلمة الله، وتوحيد صفوفهم في العمل لهذه الغاية. والمعنى الروحي في هذا اجتماعهم على الصّلاة وتسوية صفوفهم فيها أوّلا، كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:«لتسونّ صفوفكم أو ليخالفنّ الله بين وجوهكم»، وهذا شي ء لا يدركه إلا من أنار الله بصيرته للفقه في الدّين، والغوص على درره، والسّموّ إلى مداركه، كالشافعي وأضرابه.
وقد رأى المسلمون بأعينهم آثار تفرّق جماعاتهم في الصّلاة، واضطراب صفوفهم، ولمسوا ذلك بأيديهم، إلا من بطلت حاسّته، وطمس على بصره. وإنّك لتدخل كثيرا من مساجد المسلمين فترى قوما يعتزلون الصّلاة مع الجماعة، طلبا للسّنّة كما زعموا! ثم يقيمون جماعات أخرى لأنفسهم، ويظنون أنّهم يقيمون الصّلاة بأفضل ممّا يقيمها غيرهم، ولئن صدقوا فقد حملوا من الوزر ما أضاع أصل صلاتهم، فلا ينفعهم ما ظنّوه من الإنكار على غيرهم في ترك بعض السنن أو المندوبات. وترى قوما آخرين يعتزلون مساجد المسلمين، ثمّ يتّخذون لأنفسهم مساجد أخرى، ضرارا وتفريقا للكلمة، وشقا لعصا المسلمين. نسأل اللّه العصمة والتّوفيق، وأن يهدينا إلى جمع كلمتنا، إنّه سميع الدّعاء.
ويرى بعض العلماء ترك بعض المستحبات تأليفاً لأن مصلحة التأليف في الدين أعظم من مصلحة فعل مثل هذا كما ترك النبي صلى الله عليه وسلم تغيير بناء البيت لما في إبقائه من تأليف القلوب.

---

[1]) كتاب الأم،الشافعي (1/ 136- 137)..

المبحث الثاني: **الحوار جسر التواصل**:**وفيه ستة مطالب**:

تمهيد: تمر مصر اليوم في فترة حرجة، بل ربما تكون من أحرج فتراتها حيث تواجه نظمها المعرفية والقيمية تحدياً كبيراً على جميع المستويات الداخلية منها والخارجية، وقد يكون من أشدها ما يظهر من الاختلافات السلبية التي أدت إلى الصراع والنزاع على مستوى الساحة الداخلية بين طوائف الأمة ومدارسها المذهبية وأحزابها وفرقها المختلفة. ولقد تصدى العديد من علماء الأمة ومفكريها للبحث عن أسباب تلك الظاهرة ومعالجاتها وما يزال النقاش مفتوحاً. ومما يلفت النظر أنه منذ أكثر من قرن من الزمن قدم الإصلاحي السيد جمال الدين الأفغاني قراءة تحليلية لأسباب تشتت الأمة وتفرق أبنائها، والغريب في الأمر أن من يقرأ مقالته –رحمه الله– يظن أنه يتحدث عن إشكاليات اليوم وتحدياته، إذ نسب السيد مظاهر التفرق والتدهور إلى انهيار الشخصية وتضييع العقول والأخلاق فقال: "ولا تشتت أمة أو اضمحلت سلطة، ولا تفرقت جمعية إلا بفساد أخلاقها، لأنها بفسادها توجب تخالف الأيدي وتباعد الأهواء، وتشتت الآراء وتباين الأفكار، فيستحيل حينئذ الاجتماع ويمتنع الاتفاق، فالشخصية قوامها العقل والنفس، حيث تبنيها العلوم والمعارف والخبرات والتجارب ووضوح الرؤية الكلية والغايات والمقاصد ومناهج تحقيقها، وكذلك الآداب العالية والأخلاق القويمة التي تجعل الإنسان سوياً يشعر بإنسانيته وكرامة نوعه وجنسه، والتي بها يعرف الإنسان حقه ويقف عنده؛ وهكذا فإذا انهارت العقلية والنفسية انهارت الشخصية لتنعكس على سائر مسالك الحياة بسلبياتها ومشاكلها([1])". ولاستمرارية الأزمة وتعقد موضوعاتها فقد واصل العلماء دراسة الاختلاف من زوايا مختلفة سعياً لتحديد معالم المشكلة وتقديم معالجات لها، فتم التركيز على تأصيل معنى الاختلاف من المنظور الإسلامي وبيان أسبابه وآدابه، ثم التأكيد على أهمية الحوار وأبعاده وآلياته والكلمات المتعلقة به وذلك من خلال ورودها في القرآن الكريم.

---

[1])قد نشرت مقالة السيد جمال الدين الأفغاني "الشرق والشرقيون" في جريدة (أبو نظارة زرقاء) التي كانت تصدر في باريس أيام وجوده فيها سنة (1300هـ/1883م).المقالة في الحوار الذي أجراه الأستاذ عبد الجبار الرفاعي مع الدكتور طه جابر العلواني في (أبعاد غائبة عن الفكر الإسلامي) في كتاب الفكر الإسلامي المعاصر: مراجعات تقويمية، تحرير وحوار: عبد الجبار الرفاعي، دار الفكر/ دمشق.(بتصرف بسيط).

المطلب الأول: **تعريف الحوار والكلمات ذات العلاقة**:

الحوار في اللغة: مصدر حاوره إذا راجعه في الكلام وجاوبه «[1]»،

قال تعالى: {قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ}([2]): أي يراجعه في الكلام ويجاوبه([3]).

قال تعالى:{....وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ...}([4])،

أمّا في الاصطلاح: فالمراد به كما قال المناويّ: هو المراودة في الكلام([5]): أي الأخذ والعطاء فيه، وهذا قريب من معنى المناظرة التي يراد بها النّظر بالبصيرة من الجانبين المتحاورين في النسبة بين الشيئين إظهارا للصّواب([6])، وكلاهما أي الحوار والمناظرة جدال بالّتي هي أحسن.

الجدال: أقوى من الحوار، وذلك لاعتداد أحد المخالفين أو كليهما برأيه أو موقفه ومحاولته الدفاع عنه أو إقناع الآخر به، بل والأكثر أن يحاول حمل الآخر عليه.

ويعرف في اللغة كما جاء في المفردات للراغب الأصفهاني: هو المفاوضة على سبيل المنازعة والمغالبة، وأصله من جدلت الحبل أي أحكمت فتله، ومنه الجدال أي كأن المتجادلين يفتل كل واحد الآخر عن رأيه.

فالجدل: دفع المرء خصمه عن إفساد قوله بحجّة أو شبهة، أو يقصد به تصحيح كلامه وهو الخصومة في الحقيقة، والجدال: عبارة عن مراء يتعلّق بإظهار المذاهب وتقريرها([7])

وقال المناويّ: هو مراء يتعلّق بإظهار المذاهب وتقريرها.

وقيل: هو التّخاصم بما يشغل عن ظهور الحقّ ووضوح الصّواب([1])

وقال الكفويّ: هو عبارة عن دفع المرء خصمه عن فساد قوله بحجّة أو شبهة وهو لا يكون إلّا بمنازعة غيره.

---

[1]) لسان العرب (4/ 218).

[2])الكهف: 37.

[3]) تفسير القرطبي (10/ 403).

[4]) المجادلة:1.

[5]) التوقيف على مهمات التعاريف (148).

[6]) المرجع السابق (316).

[7])لتعريفات للجرجاني(74، 75).

والمجادلة: هي المنازعة في المسألة العلميّة لإلزام الخصم سواء كان كلامه فاسدا أو لا.([2])

قال تعالى:{......وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ....}([3])،

وقال تعالى: {وَإِن جَادَلُوكَ فَقُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ }([4]) وفي الحديث أنّ النّبيّ صلّى اللّه عليه وسلّم قال: «أنا خاتم النّبيّين في أمّ الكتاب، وإنّ آدم لمنجدل في طينته»، والمجدّل الملقى بالجدالة وهي الأرض، ومنه حديث عليّ– رضي اللّه عنه– حين وقف على طلحة وهو قتيل (بعد معركة الجمل) فقال: «أعزز عليّ أبا محمّد أن أراك مجدّلا تحت نجوم السّماء» أي ملقى على الأرض قتيلا([5]).

ولقد نهى الله سبحانه عن الجدال في الحج وكأنه سبحانه يجعل فترة الحج فترة تدريب وتمرين، حين يقول:{الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَاتٌ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلاَ رَفَثَ وَلاَ فُسُوقَ وَلاَ جِدَالَ فِي الْحَجِّ وَمَا تَفْعَلُواْ مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ اللّهُ وَتَزَوَّدُواْ فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى وَاتَّقُونِ يَا أُوْلِي الأَلْبَابِ}([6])، لأن الجدل قد يكدر صفو الأخوة، مما يؤدي إلى تنافر القلوب وخلق الأحقاد والأضغان.

الحجة: وهي الدلالة المبينة للمحجة أي المقصد المستقيم، والذي يقتضي صحة أحد النقيضين، قال تعالى: {قُلْ فَلِلّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ فَلَوْ شَاء لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ }([7])، والمحاجة أن يطلب كل واحد أن يرد الآخر عن حجته ومحجته: {فَمَنْ حَآجَّكَ فِيهِ مِن بَعْدِ مَا جَاءكَ مِنَ الْعِلْمِ ... }([8]) ها أنتم حاججتم فيما لكم به علم فلِمَ تحاجّون فيما ليس لكم به علم...

---

[1]) التوقيف على مهمات التعاريف (122).

[2])الكليات(849).

[3]) النحل:125.

[4]) الحج:68.

[5]) التعريفات للجرجاني (74، 75).

[6]) البقرة:197.

[7]) الأنعام:149.

[8]) آل عمران:61.

البرهان: بيان الحجة، وهو أوكد الأدلة، وهو الذي يقتضي الصدق أبداً لا محالة، إذ إن الأدلة خمسة أضرب: دلالة تقتضي الصدق أبداً، ودلالة تقتضي الكذب أبداً، ودلالة إلى الصدق أقرب، ودلالة إلى الكذب أقرب، ودلالة هي إليهما سواء،
قال تعالى: {... قُلْ هَاتُواْ بُرْهَانَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ}([1])،
وقال تعالى:{.. قَدْ جَاءكُم بُرْهَانٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُوراً مُّبِيناً }([2]) ([3])

المطلب الثاني:أهداف الحوار ومقاصده:

لكل حوار أهداف ومقاصد قد تكثر وقد تقل حسب نوعية الحوار وشخصية المتحاورين والهدف من الحوار ومن هذه الأهداف.

1 – إقامة الحجة: الغاية من الحوار إقامة الحجة ودفع الشبهة والفاسد من القول والرأي. والسير بطرق الاستدلال الصحيح للوصول إلى الحق.

2 – الدعوة: الحوار الهادئ مفتاح للقلوب وطريق إلى النفوس. قال تعالى:{ادْعُ إِلِى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ}([4])

3 – تقريب وجهات النظر: من ثمرات الحوار تضييق هوة الاختلاف، وتقريب وجهات النظر، وإيجاد حل وسط يرضي الأطراف في زمن كثر فيه التباغض والتناحر وذلك إذا لم يتم الوصول إلى حل قاطع أو إظهار حجة ودحض شبهة.

4 – كشف الشبهات والرد على الأباطيل، لإظهار الحق وإزهاق الباطل، كما قال تعالى: {وَكَذَلِكَ نفَصِّلُ الآيَاتِ وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلُ الْمُجْرِمِينَ}([5])

---

[1]) البقرة:111.

[2]) النساء:17.

[3])الراغب الأصفهاني: تحقيق: محمد سيد كيلاني، المفردات في غريب القرآن، دار المعرفة، بيروت، مع مراجعة المعاني التي أوردها من لسان العرب لابن المنظور.

[4]) النحل:125.

[5]) الأنعام:55.

المطلب الثالث:**الأصول والقواعد الرئيسة التي تضبط مسار الحوار**:

الأصل الأول:إرادة الوصول إلى الحق: فلا بد من التجرد في طلب الحق، والحذر من التعصب والهوى، وإظهار الغلبة والمجادلة بالباطل.

يقول الإمام الغزالي عند ذكره لعلامات طلب الحق: "أن يكون في طلب الحق كناشد ضالة، لا يفرّق بين أن تظهر الضالة على يده، أو على يد من يعاونه، ويرى رفيقه معينًا لا خصمًا، ويشكره إذا عرفه الخطأ وأظهر له الحق".([1])

الأصل الثاني:تحديد الهدف والقضية التي يدور حولها الحوار، فإن كثيرًا من الحوارات تتحول إلى جدل عقيم سائب ليس له نقطة محددة ينتهي إليها.

الأصل الثالث:الاتفاق على أصل يرجع إليه والمرجعية العليا عند كل مسلم هي: الكتاب والسنة، والضوابط المنهجية في فهم الكتاب والسنة. وقد أمر الله بالرد إليهما فقال سبحانه:{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ أَطِيعُواْ اللّهَ وَأَطِيعُواْ الرَّسُولَ وَأُوْلِي الأَمْرِ مِنكُمْ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً}([2])

فالاتفاق على منهج النظر والاستدلال قبل البدء في أي نقاش علمي يضبط مسار الحوار ويوجهه نحو النجاح، إذ إن الاختلاف في المنهج سيؤدي إلى الدوران في حلقة مفرغة لا حصر لها ولا ضابط.

الأصل الرابع:عدم مناقشة الفرع قبل الاتفاق على الأصل فلا بد من البدء بالأهم من الأصول وضبطها والاتفاق عليها، ومن ثم الانطلاق منها لمناقشة الفروع والحوار حولها.

المطلب الرابع:**آداب الحوار النفسية**:

هناك آداب تتعلق بنفسية المحاور وشخصه، وهناك ظروف نفسية قد تطرأ على الحوار فتؤثر فيه تأثيرًا سلبيًّا، فينبغي مراعاة ذلك حتى يحقق الحوار غاياته ويؤتي ثمراته.

وأهم هذه الآداب النفسية:

---

[1]) إحياء علوم الدين 1 / 57.

[2]) النساء:59.

أولًا: تهيئة الجو المناسب للحوار:فلا بد من الابتعاد عن الأجواء الجماعية والغوغائية، لأن الحق قد يضيع في مثل هذه الأجواء. كما ينبغي اختيار المكان الهادئ وإتاحة الزمن الكافي للحوار.

كما ينبغي مراعاة الظرف النفسي والاجتماعي للطرف الآخر، فلا يصلح أبدًا أن يتم الحوار مع شخص يعاني من الإرهاق الجسدي أو النفسي، لأن هذه الأمور ستؤثر في الحوار.

من وسائل تهيئة الجو المناسب للحوار:

1 – التعارف بين الطرفين.

2 – طرح أسئلة في غير موضوع الحوار لتهيئة نفسية الطرف الآخر.

3 – التقديم للحوار بكلمات مناسبة ومقدمات لطيفة تلفت انتباه الطرف الآخر.([1])

ثانيًا – الإخلاص وصدق النية:لابد من توفر الإخلاص لله وحسن النية وسلامة القصد في الحوار والمناظرة، وأن يبتعد المناظر عن قصد الرياء والسمعة، والظهور على الخصم والتفوق على الآخرين، والانتصار للنفس، وانتزاع الإعجاب والثناء.

ومن دلائل الإخلاص لله والتجرد لطلب الحق أن يفرح المحاور إذا ظهر الصواب على لسان مخالفه، كما قال الشافعي: "ما ناظرت أحداً إلا قلت اللهم أجر الحق على قلبه ولسانه فإن كان الحق معي اتبعني وإن كان الحق معه أتبعته".([2])

ويعينه على ذلك أن يستيقن أن الآراء والأفكار ومسالك الحق ليست ملكًا لواحد أو طائفة، والصواب ليس حكرًا على واحد بعينه.

ثالثًا – الإنصاف والعدل:من المبادئ الأساسية في الحوار: العدل والإنصاف، ومن تمام الإنصاف قبول الحق من الخصم، والتفريق بين الفكرة وقائلها، وأن يبدي المحاور إعجابه بالأفكار الصحيحة والأدلة الجيدة، ومن نماذج الإنصاف ما ذكره الله – سبحانه – في وصف أهل الكتاب:{لَيْسُواْ سَوَاء مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَآئِمَةٌ يَتْلُونَ آيَاتِ اللّهِ آنَاء اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ}([3])

---

[1]) الحوار:آدابه وضوابطه، للزمزمي، ص117–130.) .

[2]) من كتاب قواعد الأحكام للإمام الشافعي.

[3]) آل عمران:113.

رابعًا – التواضع وحسن الخلق:إن التزام الأدب وحسن الخلق عمومًا، والتواضع على وجه الخصوص له دور كبير في إقناع الطرف الآخر، وقبوله للحق وإذعانه للصواب، فكل من يرى من محاوره توقيرًا وتواضعًا، ويلمس خلقًا كريمًا، ويسمع كلامًا طيبًا، فإنه لا يملك إلا أن يحترم محاوره، ويفتح قلبه لاستماع رأيه.

وفي الحديث الصحيح: "وما تواضع أحد لله إلا رفعه الله".([1])

أي يرفع منزلته في الدنيا عند الناس، وكذلك يرفعه في الآخرة ويزيد من ثوابه فيها بتواضعه في الدنيا.

ومما ينافي التواضع: العجب والغرور والكبر.

خامسًا – الحلم والصبر:يجب على المحاور أن يكون حليمًا صبورًا، لا يغضب لأتفه سبب، ولا ينفر لأدنى أمر، ولا يستفز بأصغر كلمة.

فقد أمر –سبحانه– نبيه بأخذ العفو وإعذار الناس وترك الإغلاظ عليهم كما في قوله تعالى: {خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ}([2]).

والصفح والعفو أبلغ من كظم الغيظ ورد الغضب، لأن العفو ترك المؤاخذة، وطهارة القلب، والسماحة عن المسيء، ومغفرة خطيئته.

وأعظم من ذلك وأكبر هو دفع السيئة بالحسنة، ومقابلة فحش الكلام بلينه، والشدة بالرفق، ورد الكلمة الجارحة بالكلمة الطيبة العذبة، والسخرية والاحتقار بالتوقير والاحترام، وهذه منزلة لا يصل إليها إلا من صبر وكان ذا حظ عظيم:{وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ{}وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ}([3]).

سادسًا – الرحمة والشفقة:إن المحاور المسلم المخلص الصادق يحرص على ظهور الحق، ويشفق على خصمه الذي يناظره من الضلال، ويخاف عليه من الإعراض والمكابرة والتولي عن الحق.

---

[1]) مسلم البر والصلة والآداب (2588)، الترمذي البر والصلة (2029) ، أحمد (386/2)

[2]) الأعراف: 199.

[3]) فصلت: 34-35.

فالرحمة والشفقة أدب مهم جدًّا في الحوار، لأن المحاور يسعى لهداية الآخرين واستقامتهم فلذلك يبتعد عن كل معاني القسوة والغلظة والفظاظة والشدة. فلا يكون الحوار فرصة للكيد والانتقام، أو وسيلة لتنفيس الأحقاد، وطريقة لإظهار الغل والحسد، ونشر العداوة والبغضاء.

والرحمة جسر بين المحاور والطرف الآخر، ومفتاح لقلبه وعقله، وكلما اتضحت معالم الرحمة على المحاور كلما انشرح صدر الخصم، واقترب من محاوره، وأذعن له واقتنع بكلامه. يقول سبحانه مخاطبًا نبيه: {فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظّاً غَلِيظَ الْقَلْبِ لاَنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللّهِ إِنَّ اللّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ}([1]).

كما ضرب الله لنا مثلاً في توجيهه سبحانه لموسى وهارون حين أرسلهما لمخاطبة فرعون الذي ملأ الأرض ظلماً قال سبحانه:{اذْهَبَا إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى {43}فَقُولَا لَهُ قَوْلاً لَّيِّناً لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى }([2]).

ولذلك كان الأنبياء في حوارهم مع أقوامهم يصرحون بالخوف والحرص والشفقة عليهم.

ومن نماذج ذلك تصريح مؤمن آل فرعون لقومه بالرحمة والشفقة والخوف عليهم في أكثر من موضع. قال تعالى: {وَقَالَ الَّذِي آمَنَ يَا قَوْمِ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُم مِّثْلَ يَوْمِ الْأَحْزَابِ{▭▤}مِثْلَ دَأْبِ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَالَّذِينَ مِن بَعْدِهِمْ وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْماً لِّلْعِبَادِ{▭▤}وَيَا قَوْمِ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ التَّنَادِ}([3]).

سابعًا – العزة والثبات على الحق:إن المحاور المسلم يستمد قوته من قوة الدين، وعظمة الإيمان، فلا يجوز أن يؤدي الحوار بالمسلم إلى الذلة والمهانة. والعزة الإيمانية ليست عنادًا يستكبر على الحق، وليست طغيانًا وبغيًا، وإنما هي خضوع لله وخشوع، وخشية وتقوى، ومراقبة لله سبحانه.

---

[1]) آل عمران: 159.

[2])طه:43-44.

[3]) غافر: 30 – 32.

ثامنًا – حسن الاستماع:لا بد للمحاور الناجح أن يتقن فن الاستماع () فكما أن للكلام فنًّا وأدبًا، فكذلك للاستماع، وليس الحوار من حق طرف واحد يستأثر فيه بالكلام دون محاوره، ففرق بين الحوار الذي فيه تبادل الآراء وبين الاستماع إلى خطبة أو محاضرة.

ومما ينافي حسن الاستماع: مقاطعة كلام الطرف الآخر، فإنه طريق سريع لتنفير الخصم إضافة إلى ما فيه من سوء أدب، كما أنه سبب في قطع الفكرة مما يؤثر في تسلسل الأفكار وترابطها، ويؤدي إلى اضطرابها ونسيانها.وقد ذكر العلماء في آداب المتناظرين: ألا يتعرض أحدهما لكلام الآخر حتى يفهم مراده من كلامه تمامًا، وأن ينتظر كل واحد منهما صاحبه حتى يفرغ من كلامه، ولا يقطع عليه كلامه من قبل أن يتمه.

والاستماع إلى الطرف الآخر وحسن الإنصات، تهيئ الطرف الآخر لقبول الحق، وتمهد نفسه للرجوع عن الخطأ.

تاسعًا – الاحترام والمحبة على رغم الخلاف:الاختلاف أمر واقع لا محالة ولكن لا يجوز أن يؤدي الاختلاف بين المتناظرين الصادقين في طلب الحق إلى تباغض وتقاطع وتهاجر، أو تشاحن وتدابر.

فأخوة الدين، وصفاء القلوب، وطهارة النفوس فوق الخلافات الجزئية، والمسائل الفرعية، واختلاف وجهات النظر، لا ينبغي أن يقطع حبال المودة، ومهما طالت المناظرة، أو تكرر الحوار، فلا ينبغي أن تؤثر في القلوب، أو تكدر الخواطر، أو تثير الضغائن.

لقد اختلف السلف فيما بينهم، وبقيت بينهم روابط الأخوة الدينية.

فهذان الخليفتان الراشدان، أبو بكر وعمر، يختلفان في أمور كثيرة، وقضايا متعددة، مع بقاء الألفة والمحبة، ودوام الأخوة والمودة.

ومع هذا الاختلاف بينهما إلا أن كل واحد منهما كان يحمل الحب والتقدير والاحترام للآخر، ويظهر ذلك من ثناء كل واحد منهما على صاحبه كما سنرى فيما بعد.([1])

---

[1])الحوار: آدابه وضوابطه ، ص (236 – 246)

المطلب الخامس:آداب الحوار العِلمية:

أولًا – العلم: العلم شرط أساس لنجاح الحوار وتحقيق غايته، وبدونه لا ينجح حوار، ويهدر الوقت ويضيع الجهد.

فيجب على المحاور ألا يناقش في موضوع لا يعرفه، ولا يدافع عن فكرة لم يقتنع بها، فإنه بذلك يسيء إلى الفكرة والقضية التي يدافع عنها، ويعرض نفسه للإحراج وعدم التقدير والاحترام.

يقول أحد العلماء رحمه الله في التأكيد على ضرورة العلم وأهميته لمن يتصدى للحوار: "وقد ينهون عن المجادلة والمناظرة، إذا كان المناظر ضعيف العلم بالحجة وجواب الشبهة، فيخاف عليه أن يفسده ذلك المضل، كما ينهى الضعيف في المقاتلة أن يقاتل علجًا قويًا من علوج الكفار، فإن ذلك يضره ويضر المسلمين بلا منفعة".

ثانيًا – البدء بالنقاط المشتركة وتحديد مواضع الاتفاق:بين كل متناظرين مختلفين حد مشترك من النقاط المتفق عليها بينهما والتي يسلم بها الطرفان، والمحاور الناجح هو الذي يظهر مواطن الاتفاق. والبدء بالأمور المتفق عليها يساعد على تقليل الفجوة، ويوثق الصلة بين الطرفين، ويعيد الحوار هادئًا هادفًا.

أما إذا كان البدء بذكر مواضع الخلاف وموارد النزاع فإن فرص التلاقي تقل، وفجوة الخلاف تتسع، كما أنه يغير القلوب، ويثير النفوس للغلبة دون النظر إلى صحة الفكرة.

فالبدء بالنقاط المشتركة يساعد على تحرير محل النزاع، وتحديد نقطة الخلاف، ويفيد في حسن ترتيب القضايا والتدرج في معالجتها.

ثالثًا – التدرج والبدء بالأهم:إن المحاور الناجح هو الذي يصل إلى هدفه بأقرب طريق، ولا يضيع وقته فيما لا فائدة منه، ولا علاقة له بأصل الموضوع، فمعرفة الأهم والبدء به يختصر الطريق.

وأوضح الأمثلة على ذلك بدء الأنبياء صلوات الله عليهم وسلامه بأهم قضية وأكبر غاية، وهي الدعوة إلى عبادة الله وحده لا شريك له:{لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحاً إِلَى قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُواْ اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَـهٍ غَيْرُهُ إِنِّيَ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ}[1]

---

[1]) الأعراف:95.

قالها نوح وهود وصالح وشعيب عليهم السلام.

ومع التأكيد على هذا الأدب – البدء بالأهم – فقد يحتاج المحاور إلى أن يتدرج ويتنازل مع خصمه، ويسلم له ببعض الأمور تسليمًا مؤقتًا حتى يصل إلى القضية الأم والمسألة الأهم.

ومن نماذج هذا الأسلوب ما اتبعه إبراهيم مع قومه ليصل بهم إلى التوحيد وإبطال الشرك، كما قال سبحانه:{فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَى كَوْكَباً قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لا أُحِبُّ الآفِلِينَ}([1]) وقوله أيضا هذا ربي على وجه التنزل مع الخصم، أي ربي بزعمكم فلما أفل.فبطلت عبادة الكواكب، ثم فعل مثل ذلك لما رأى القمر، ولما رأى الشمس حتى وصل بهم إلى حد إبطال ما هم عليه من الشرك".([2])

رابعًا – الدليل:إن أهم ما ينجح الحوار: الدليل، ولا بد من إثبات صحة الدليل، كما قيل: "إن كنت ناقلًا فالصحة، أو مدعيًا فالدليل". ولا يحسن بالمحاور أن يستدل بأدلة ضعيفة أو حجج واهية. فدليلان قويان لا يمكن الرد عليهما أفضل من سوقهما مع ثلاثة أدلة أخرى يمكن الأخذ والرد فيها، إذ ربما يستغلها الطرف الآخر، فيضعف الفكرة ويسيء إلى موقف صاحبها بسبب الأدلة الضعيفة.

ومتى وجد الدليل وثبتت صحته، فلا بد من صحة دلالته على المطلوب، ولا بد من ترتيب الأدلة حسب قوتها وصراحتها في الدلالة على المقصود.

خامسًا – ضرب الأمثلة:إن المحاور الناجح هو الذي يحسن ضرب الأمثلة، ويتخذها وسيلة لإقناع محاوره، إذ إن الأمثلة الجيدة تزيد المعنى وضوحًا وبيانًا.

ولما للأمثلة من دور كبير في تقريب المعاني والإقناع بها، فقد اعتنى القرآن بها كثيرًا، وأشار إلى أهميتها وبيان هدفها:{لَوْ أَنزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُ خَاشِعاً مُّتَصَدِّعاً مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَتِلْكَ الأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ}([3]).

---

[1]) الأنعام:76.

[2])الحوار وآدابه وضوابطه(ص308-296)

[3])الحشر:21.

وقال:{تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا وَيَضْرِبُ اللّهُ الأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ}([1]).

سادسًا – العدول عن الإجابة:إن الأصل في الحوار الناجح أن يبنى على الإخلاص والتجرد للحق والصدق والوضوح، ولكن قد تتعذر هذه الصفات في الخصوم، فقد يكون الخصم يهوى الجدال والمراء، ويقصد إضاعة الوقت والتهرب من الحوار الجاد، وقد يلقي أسئلة لا قيمة لها ولا تفيد شيئًا بالحوار.

ففي مثل هذه الأحوال يعدل المحاور الناجح عن الجواب المباشر للسؤال المطروح، إلى جواب مفيد مهم.

سابعًا – الرجوع إلى الحق والتسليم بالخطأ:إن من أهم الآداب والصفات التي يتميز بها المحاور الصادق أن يكون الحق ضالته، فحيثما وجده أخذه، والعاقل هو الذي يسلم بخطئه، ويعود إلى الصواب إذا تبين له، ويفرح بظهوره، ويشكر لصاحبه إرشاده ودلالته إليه.

والتسليم بالخطأ صعب على النفس، خاصة إذا كان في مجمع من الناس، فهو يحتاج إلى تجرد لله وصدق وإخلاص، وقوة وشجاعة.

ثامنًا – التحدي والإفحام وإقامة الحجة على الخصم:إن الهدف من الحوار هو الوصول إلى الحق، فعلى المحاور أن يتجنب أسلوب الإفحام والإسكات، لأنه يترك في نفس المحاور حقدًا وغيظًا وكراهية.

ولكن يلجأ المحاور إلى التحدي والإفحام مع من استطال وتجاوز حدود الأدب، وطغى وظلم وعادى الحق وكابر مكابرة بينة ولجأ إلى الاستهزاء والسخرية، ونحو ذلك.

وفي مثل هؤلاء جاءت الآية الكريمة: {لاَّ يُحِبُّ اللّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوَءِ مِنَ الْقَوْلِ إِلاَّ مَن ظُلِمَ وَكَانَ اللّهُ سَمِيعاً عَلِيماً}([2])

ولما أمر الله – سبحانه – بالتلطف في المناقشة – حتى مع الكفار – استثنى حالة إذا ما ظلموا وبغوا، فلا ينفع معهم الرفق واللين، بل يستعمل معهم الغلظة

---

[1])إبراهيم:25.

[2]) النساء: 148.

والشدة:{وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَهُنَا وَإِلَهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ}([1])

المطلب السادس:**آداب الحوار اللفظية وأهمها**:

الجوارح جوارح وأخطرها اللسان ترجمان الجنان كاشف مخبآت القدور زارع الضغينة والخديعة فغي الصدور، تسل السيوف بكلمات تقوم صراعات وتدور فتن بكلمات تضيع أوقات بكلمات وتشاع الفتن بكلمات، وتقذف محصنات بكلمات،تهدم حصون للفضيلة وتزرع هموم وحسرات بكلمات. هذا تمهيد بسيط للدخول في آداب الألفاظ والتي أعني بها الآداب التي تتعلق بالألفاظ المختارة، والكلمات المنتقاة، والعبارات المناسبة.

وحيث إن الحوار – غالبًا – ما تصاحبه الرغبة في الظهور على الخصم، والخوف من الانهزام أو الإحراج أمام الآخرين، فربما انعكس أثر ذلك على ألفاظ المحاور، فيزل لسانه، ويلقي كلمة خشنة.

فلا بد للمحاور أن يدقق ألفاظه ويراعي كل عبارة يتفوه بها، حتى يستقيم الحوار، ويحقق نتائجه، ويؤتي ثماره.

وأهم الآداب اللفظية:

أولًا – الكلمة الطيبة والقول الحسن:لقد أمر الله ﷻ بدعوة الناس بالحكمة والموعظة الحسنة، فقال سبحانه:{ادْعُ إِلِى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ}([2])

ومن القول الحسن أيضًا: حسن المناداة للطرف الآخر، واختيار أحب الأسماء إليه، وقد تأدب الأنبياء بهذا الأدب في خطابهم لأقوامهم، فقد كان يقول الرسول لخصومه المعاندين: (يا قوم) في تودد وسماحة وتذكير بالروابط التي تجمعهم، ليستثير مشاعرهم، ويطمئنهم فيما يدعوهم إليه. وقد قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه

---

[1]) **العنكبوت:46.**

[2]) **النحل: 125.**

ثلاث يجلبن لك ود أخيك أن تناديه بأحب الأسماء إليه أن تفسح له المجلس أن تبدأه بالسلام.

ثانيًا – التعريض والتلميح بدلًا عن التصريح:إن لفت النظر إلى الأخطاء من طرف خفي، وتجنب اللوم المباشر، وعدم تخطئة الطرف الآخر بعبارة صريحة، كل ذلك له أثره في تسليم الخصم للحق والرجوع عن الخطأ، فالنفوس غالبًا لا تتحمل أن تواجه بقوة وصرامة، وهناك من الألفاظ الموحية والكلمات اللطيفة والتي تؤدي الغرض نفسه، دون جرح لمشاعر الآخرين، أو إشعارهم بالذل والهزيمة.

ثالثًا – ثناء المحاور على نفسه أو على خصمه بالحق:إن الكلام عن النفس ومدحها والثناء عليها مذموم غالبًا، ولا يحب الناس أن يسمعوا ممن يملأ آذانهم بمناقبه وسيرته وأحواله وتقلباته، بل إن من يفعل ذلك ويفرح به ويكثر منه يعد ناقصًا في عقله، أو ربما فاسدًا في نيته وقصده.

وقد قال الإمام مالك:"إن الرجل إذا ذهب يمدح نفسه ذهب بهاؤه".([1])

وقد نهى الله عز وجل عن تزكية النفس والتمدح بطهارتها فقال سبحانه:{الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ إِلَّا اللَّمَمَ إِنَّ رَبَّكَ وَاسِعُ الْمَغْفِرَةِ هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنشَأَكُم مِّنَ الْأَرْضِ وَإِذْ أَنتُمْ أَجِنَّةٌ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ فَلَا تُزَكُّوا أَنفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَى}([2])

وعاب أناسًا فعلوا ذلك فقال فيهم: {أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنفُسَهُمْ بَلِ اللّهُ يُزَكِّي مَن يَشَاءُ وَلاَ يُظْلَمُونَ فَتِيلاً}([3])

وفي المقابل فإن مدح الآخرين وإطراءهم والثناء عليهم بما ليس فيهم، وتجاوز الحد في ذلك، كل هذا مذموم ممقوت أيضًا.

ولكن قد تكون هناك حالات يحتاج فيها المحاور إلى أن يثني على نفسه بالحق، لتحقيق غرض معين، كأن يشعر خصمه بمقدار علمه في موضوع الحوار أو في مسألة من مسائله، أو لينفي عن نفسه تهمة أو طعنًا في صدقه وأمانته أو نحو ذلك، فهنا قد يسوغ ذكر شيء من محاسن النفس بقدر وبحق.

---

[1]) سير أعلام النبلاء:8 / 109.

[2]) النجم: 32.

[3]) النساء:49.

وكذا قد يحتاج المحاور إلى أن يثني على الطرف الآخر – بالحق – لتحقيق غرض معين، كأن يكون القصد إشعاره بالتقدير والاحترام، والاعتراف بفضله أو علمه.

رابعًا – محذورات لفظية:إن للسان سقطات، وللكلام زلات، والمسلم مأمور بحفظ لسانه، كما أنه مأمور بطيب الكلام، وأن يقول خيرًا فيغنم، أو يسكت فيسلم، ويسلم الآخرون منه، وهناك أمور قد يقع فيها اللسان فتورد صاحبها الموارد، وقد تهوي بالحوار وتعطل سيره أو تحوله إلى جدل عقيم، أو تبادل سباب وشتائم، ولذلك ينبغي للمحاور أن يحذرها، فمن هذه المحذورات:

1 – اختيار الألفاظ والمعاني التي تقود إلى الجدل، أو تستثير الفتن والمشكلات.

2 – إظهار التفاصح والتشدق في الكلام تيهًا على الآخرين واستعلاء.

3 – الغيبة: فإن المناظر لا ينفك عن حكاية كلام خصمه ومذمته، فيحكي عنه ما يدل على قصور كلامه وعجزه ونقصان فضله، وهو الغيبة.

4 – الكذب: ربما لا يقدر المناظر على محاورة خصمه، فيلجأ إلى الكذب عليه، فينسبه إلى الجهل والحماقة وقلة الفهم، تغطية لعجزه فيقع في الكذب.

5 – تزكية النفس والثناء عليها بالقوة والغلبة والتقدم على الأقران، كقوله: لست ممن يخفى عليه أمثال هذه الأمور ونحو ذلك مما يتمدح به على سبيل الادعاء.

6 – الاستئثار بالكلام دون الطرف الآخر، والإطالة الزائدة عن حدها وعدم مراعاة الوقت في أثناء الكلام.

7- اللوم المباشر عند وضوح خطأ الطرف الآخر، كقوله: "أخطأت"، "سأثبت لك أنك مخطئ جاهل" ونحو ذلك مما يجرح الطرف الآخر.

8- رفع الصوت أكثر مما يحتاج إليه السامع، ففي ذلك رعونة وإيذاء.

9- الاستهزاء والسخرية، وكل ما يشعر باحتقار الطرف الآخر.

10- استعمال الألفاظ الغريبة، والأساليب الغامضة، والعبارات المحتملة تلبيسا على الطرف الآخر، تمويها للحقيقة.. إلى غير ذلك من المحذورات التي يجب على المحاور أن يبتعد عنها.

إن الشقاق يمكن تفاديه بالحوار الذي من شأنه أن يقدم البدائل العديدة لتجنب مأزق الاصطدام في زاوية الشقاق.